



• عدد من الأرناب بعد اصطيادها

يقضون خلالها أوقاتاً ممتعة في الصحراء

# صيد الأرناب هواية الصقوة في موريتانيا

الأرناب استعاد صحته وأخبره الطبيب أنه لم يعد بحاجة للأدوية».

مع اقترابنا من بيت «الخباط» نكتشف تقاليد الصيد في هذه المنطقة التي ترقى لمستوى «القوانين» الخاصة بين فرق الصيد فبالنسبة لذوي الإمكانيات المادية الكبيرة فإنهم يحصلون على كل الأرناب التي يتم اصطيادها فيما يكون نصيب «الخباط» مبلغاً معيناً من المال يصل إلى مائة ألف أوقية عن الليلة الواحدة فيما يشترط بعض القناصة المهرة حصولهم على مبلغ معين عن كل أرناب يصيرونه وغالباً ما يكون ثلاثين ألف أوقية (١٠٠ دولار).

أما بالنسبة لمتوسطي الدخل فإن «الخباط» يحصل لوحده على نصف الحصيلة مقابل توفير الشركاء لتكاليف الرحلة من سيارة وبنزين ورصاص ومستلزمات. على أن ما تستهلكه الجماعة من أرناب في الاستراحة خلال رحلة الصيد لا يحتسب من الحصيلة.

فيما تسمح عيناه المنطقة باستمرار بروي «الحسن» حكايات كثيرة وطريقة فيقول انه ذات ليلة أصاب طائراً كبيراً لا يعرف فصيلته وحين سلخه وشق بطنه وجد بداخله خاتمين أحدهما من الفضة وعليه أحرف يعتقد أنها ألمانية كما يروي قصصاً بالغة الطرافة عن الأثرياء الذين يصرون على تولي دور القناص ويخطئون التصويب فموتين الفرصة تلو الأخرى.

في موريتانيا وإلى ماضٍ قريب كان صيد الأرناب يتم بشكل عابر وعلى يد أفراد يدفعهم الجوع لآكل لحم الأرناب وكان يعد ذلك أمراً معيباً لا يقدم عليه الا المنحدرون من الطبقات الاجتماعية السفلى لكن خلال العقدين الماضيين انقلب الأمر إلى العكس مع وصول الصيادين من الدول العربية والغربية فتحول صيد الأرناب إلى «رمز» للثراء ووسيلة للتفاخر بين كبار القوم وهكذا ينفق رجال الأعمال الآلاف من أجل القيام برحلة صيد واحدة رحلة كلها مسلية بين الحكايات وصنع الشاي داخل السيارة وتوقع مكان الفريسة التي تظهر في ذات اللحظة التي تعانقها رصاصة قناص لا يخطئ أو هذه اللحظة حيث أعد «الحسن» الوجبة بتلك الطريقة السحرية وقرر أن يطبخ زوج الأرناب الذي أصابه برصاصة واحدة فانتقل لقاء الأرنابين إلى هذا الصحن الشهى الساخن.

شيء جيد يفصح «الحسن» الآن أكثر «أنتم مباركون شككت فيكم في البداية».

ثم يبدأ الحديث عن سر اعداد أفضل وجبات الأرناب البرية لكن «الرادار» البشري في المقاعد الخلفية يقطع حديثه «عندك» ويسد «الحسن» ثم ينزل من السيارة ويجري رافعاً الأرناب متحدثاً عن وزنه وكونه سمينا.

يخبرنا أن نعود فهذه حصيلة كبيرة ويمكن للأرناب أيضاً أن تنزل للسياح التي قطعناها في رحلة الذهاب ويصدق حدسه مع الطلقة التي أسقطت أرناباً قفز للتو من جانبنا فيما نجأ أرناب آخر من طلقة مميتة لأنه اندفع داخل شجرة «هذا الأرناب سبق أن تعرض لمحاولة الصيد الأرناب التي تنجو حين تشاهد أضواء السيارة تفر هاربة نحو الأشجار قبل أن تكون في مرمى النار» يقول الحسن الذي يضيف «سنة أرناب أنتم مباركون هذه حصيلة نادرة في أقل من ثلاث ساعات».

يعود «الحسن» للحديث عن أجود طريقة لاعداد وجبة الأرناب فيقول «ما عليك الا أن تقلبها في قليل من الزيت ثم تضيف لها كيلوغراماً من البصل وقليلاً من الفلفل وسوف تذوق طعماً لن تنساه. أما الوجبة الثانية الأفضل فهي طهو الأرناب مع الأرز من دون أي اضافات. لكن يبدو أن لكل طريقته في اعداد وجبات الأرناب وفق الأذواق فالبعض يفضل شواء الأرناب في الرمال النقية تحت نار الأخشاب.

يقرر «الحسن» العودة لكننا نلاحظ وجود جماعة صيد أخرى في المنطقة يطفئون أضواء سياراتهم حتى يتجنبونا وحين نتجه اليهم نكتشف أنهم ساروا من دون أضواء مبتعدين. يتعرف «الحسن» على الجماعة من آثار سياراتهم ويؤكد أنهم لم يصادوا شيئاً «هذا فلان شقيق فلان لم يحصل على شيء».

ينضم كخيريون من مرضى السكري والأمراض المزمنة إلى جماعات صيد الأرناب إذ يعتقدون أن لحم الأرناب مفيد للجسم عموماً خاصة أولئك الذين يعانون مرض السكري واضطرابات القلب ويروي رفيق رحلتنا محمد سالم أن «مرضى كانوا يعانون مشاكل صحية استعادوا كامل صحتهم بفضل لحم الأرناب» ويضيف «أعرف تاجر عاد من رحلة استشفاء من اسبانيا وكان يحمل عشرات الأدوية وخلال أسبوعين من التغذية على لحم

وسعودية وصينية «انظروا لم يتركوا لنا شيئاً لسنا وحدنا أيضاً فشرق التل هناك جماعة صيد».

يجزم «الخباط» أن أحد أشهر رجال الأعمال في البلد أمضى الليلتين الماضيتين هنا مصحوباً بأمر الرماة يتعرف على ذلك من بقايا السيجار الكوبي كل بقايا صغيرة هنا تكشف كما كبيراً من المعلومات عن من خلفوها. أخيراً لاح تحت ضوء مصابيح السيارة قط بري تلمع عيناه الناريتان في الظلام الحالك وكأنهما ماستان براقتان في جيد عادة سوداء. والأهم أن الغيوم بدأت تحجب ضوء القمر يعلن «الخباط» أن اناث الأرناب هي أول ما ييزل إلى السياح وهي أكبر وأسمن وأخيراً «بمب» تسقط الأرناب التي قفزت من وراء شجرة طلح وسط السبخة ما بين رؤية الأرناب واطلاق الرصاصة عليها وذبحها ووضعها في حوض السيارة ثواني معدودة تتم العملية بصورة مفاجئة وبسرعة فائقة «الحسن» مدرب جيد ولا يخسر طلقة واحدة وهو يسد على أرجل الأرناب أو رأسه حتى لا يفسد البارود الأجزاء المهمة.

ما ان نقطع نصف كيلومتر حتى تكون المفاجأة وبطلقة واحدة يسقط أرنابان النقياً للتو لكن «الحسن» يجري باتجاه آخر ويسد نحو الحشائش القريبة ثم يعود حاملاً أرناباً آخر أربعة أرناب هذا



• أثناء صيد أرناب

وتتواصل الأوامر سر كيلومترين إلى الغرب ثم انحرف عن الطريق المعبد إلى اليسار في هذه المرحلة سنتجنب الإشتباه فينا من طرف قاعدة عسكرية تؤمن أول محطة مركزية لتزويد العاصمة بالمياه بعد تجاوزها بخمسة كيلومترات نتوقف في أول «سباخ» بلدة «الريينة» يتم نصب «البروجيكتور» فوق السيارة ووصله بالبطارية لكن «البروجيكتور» لا يعمل سوء الحظ يغلق أول باب سننعمد على ضوء مصابيح السيارة هذا ليس جيداً بالنسبة للحسن الذي يؤكد أن الأرناب البرية سريعة العدو «بل لها صلة نسب بالبرق» وفق تعبيره نقطع السبخة الأولى والثانية ولا يقفز من أمامنا غير الجرابيع.

نشعر بالياس بدأ يتسلل إلى النفوس ولأن جماعات الصيد هنا معروفة بالتشاؤم والتفاؤل من الأشخاص الجدد الذين ينضمون إليها وحصيلة الصيد هي ما يحدد «بركة» الشخص الطارئ من السهل في هذه اللحظة فهم حديث «الحسن» الذي قال انه لم يعد بأقل من أرناب واحد في أي رحلة قام بها باستثناء رحلته مع رجل أعمال قبل أسبوعين نسبياً نتجاهل ما يرمي إليه «الحسن» فمن الواضح أن حظ الرحلة يعود إلينا نحن الوافدين الجدد.

خلال ساعة أصبحنا نطبق التعليمات في القيادة بهدوء واللف من حين لآخر وتركيز الضوء على حواف النباتات والروابي من حول السياح. نعرف أيضاً أن آخر رحلة لحسن اصطاد خلالها أربعة أرناب وهي حصيلة مشرفة ونادرة.

خلال الكيلومترات التالية ونحن نعبر الكثبان الرملية المغطاة بالحشائش الطويلة من سبخة إلى أخرى نتعلم الكثير عن مهنة صيد الأرناب القمر ما يزال عاليا والأرناب تتجنب النزول للسياح تحت ضوء القمر فهي تنزل للسياح من أجل التناسل وهذه فرصة المفترسين لصيد الأرناب من حيث أرادت التكاثر لا تزال «بركتنا» على المحك ف«الحسن» لم ير قطا برياً في كل هذه الفياقي التي قطعناها وحيث ما وجدت القطط وجدت الأرناب.

أصبح صيد الأرناب البرية أحدث هوايات أثرياء موريتانيا وهكذا باتت جماعات الصيد تجوب مناطق عدة من البلاد محملة بالأسلحة والمعدات والمؤن وقبل كل شيء سيارات عابرة للصحارى شعار هؤلاء «من لم يأكل لحم أرناب مشوي في نهاية الأسبوع فالأفضل له أن يصوم» على أن الكثيرين يعترفون بأن رحلات الصيد هي أمتع الأوقات بالنسبة لهم فخلالها ينسون هموم «الملايين» وهم يعودون إلى واحدة من أقدم المهن التي مارسها الإنسان حيث ثقافة الطرائد وصراع المفترس والفريسة. رافقنا إحدى فرق صيد الأرناب البرية في ضواحي مقاطعة «واد الناقة» شرقي العاصمة نواكشوط وبعد ساعة واحدة على الرحلة كانت أضواء السيارات تحول الكثبان الرملية إلى مراً ضخمة تنبئ بأننا لسنا وحدنا كما توقع الدليل.

من الصالونات تنتفح نافورة الحديث عن «بطولات» رحلات الصيد التي قام بها فلان وفلان والحصيلة وأشياء كثيرة ولأننا نحمل آلة التصوير كانت المهمة شاقة في العثور على من يقبل مرافقتنا لتسجيل أحداث رحلة الصيد فضلاً عن قوانين حماية البيئة التي تمنع الصيد البري من دون ترخيص يتطلب الكثير من الإجراءات والانتظار كان الكثيرون يرفضون أن «نقك» آلة التصوير وصفحات الصحف تراسم رحلاتهم في مطاردة الأرناب البرية.

محمد سالم تاجر شاب نزل عند رغبتنا على أن نتقيد بتعليماته وهكذا اعتماداً على خبرته قرر تجنب الصيد ليلا في العتلة الأسبوعية «الجمعة والسبت» لأن زحمة جماعات الصيد ذات الخبرة الواسعة في مراوغة الأرناب ستجعلنا في هاتين الليلتين نعود جأوي الوفاض.

ضربنا موعداً ليلة الأحد وفي الساعة التاسعة كان في الموعد حيث توجهنا أولاً إلى «الخباط» «القناص» الذي استقبلنا بحفاوة كبيرة في بيته الريفي وكان «الحسن» الشاب الأريغيني والأب لأطفال والموظف بأحدى الشركات جاهزاً مع بندقية «بوفلكه» و«البروجيكتور» وجراب الرصاص. يتأكد «الحسن» أنه لم ينس شيئاً يعيد ترتيب العدة قبل أن يأخذ مكانه في المقعد إلى جانب السائق أما منظم الرحلة فيأخذ مكانه في المقعد الخلفي ليشكل بذلك ثنائي مراقبة لا يخطئ العين تصدر الأوامر إلينا بتولي قيادة السيارة